البحث المعرفي بين الدربة والعلمية

د. طيب بن عون
جامعة الجيلالي اليابس –سيدي بلعباس –الجزائر

تاريخ الارسال: **2020-02-13** تاريخ القبول:**2020-02-28** تاريخ النشر: **2020-09-30**

الملخص:

إذا كان البحث هو التفتيش والتنقيب لغة،فهو في الاصطلاح العام عبارة عن دراسة خاصة في موضوع معين حسب مناهج وأصول معينة.كما أن منهج البحث في جميع حقول المعرفة واحد ،وهو التوفيق بين النشاط الذاتي المبدع والمعلومات والأدلة والوسائل كما تظهر في سياق البحث.
يهدف هذا البحث إلى تقديم ورقة بحثية تضع تصميم منهجي يستفيد من البحوث المختلفة التي رسمت الخطاطات الأكاديمية للبحث المعرفي ،ويفيد باختزالها وتقديمها للطلبة الباحثين في إطار الاشتراك المعرفي من خلال المنهج الوصفي الأنسب لهذه الورقة .

الكلمات المفتاحية :البحث المنهج العلمية

Abstract :

If research is a search and exploration language, then it is in the general term that it is a special study in a specific subject according to specific methods and origins. The research method in all fields of knowledge is one, and it is the reconciliation of creative self-activity, information, evidence and means as they appear in the context of the research. This research aims to present a research paper that establishes a systematic design that takes advantage of the various researches that have drawn the academic plans for epistemic research, and informs them of reducing them and presenting them to research students in the context of cognitive participation through the descriptive approach appropriate to this paper.
Keywords: Research, Scientific method

P-ISSN : 2571-9807 / E-ISSN : 2710-8244

مقدمة:

لا يختلف اثنان على أن المجال العلمي هو الرواق الأصوب و الأوحد، المنجي من الضلال،و الموقي من الأخطاء، والمغيب لظلمات الجهل ،خاصة إذا كان محمولا على دفقات إيمانية .ولاشك أن المجال العلمي دون تقنيات ولا مناهج ،لا يكاد يعدو طريق مضيء، لكن حذر خوفا من منزلقات وعوائق قد يحتار أمامها الإنسان.فكان منهج البحث هو المقود الصحيح ،بدعامتين لا تنيان عن الافتراق عنه هما العقل والمنطق.كما أن منهج البحث في جميع حقول المعرفة واحد ،وهو التوفيق بين النشاط الذاتي المبدع والمعلومات والأدلة والوسائل كما تظهر في سياق البحث. كل بحث مهما كان نوعه لا يخلو من مناحي ثلاث ؛أولها– المنحى الذاتي :يتناول منهج التفكير عند الباحث. ثانيها– المنحى الموضوعي:يقوم بوظيفة العقل المفكر .ثالثها– المنحى الأسلوبي:يقوم بالربط بين المنحنين الأوليين ربطا وثيقا دون أن يترك بينهما أي فجوة. و عليه ما هي أهم الخطوات التي يمكن رسمها للربط بين هذه المنحيات. يهدف هذا البحث إلى تقديم ورقة بحثية تضع تصميم منهجي يستفيد من البحوث المختلفة التي رسمت الخطاطات الأكاديمية للبحث المعرفي ،ويفيد باختزالها وتقديمها للطلبة الباحثين في إطار الاشتراك المعرفي من خلال المنهج الوصفي الأنسب لهذه الورقة .

مفهوم البحث:

تتعدد تعاريف و مفاهيم البحث باختلاف الباحثين،وبتنوع المراجع الدارسة لهذا المصطلح. ومع هذا التعدد والتنوع تكاد تصب كلها في معنى أو معنيين يجمعهما .وقد ورد لفظ البحث في القرآن الكريم في موضع واحد في قوله تعالى :"فبعث الله غرابا يبحث في الأرض" سورة المائدة الآية 31. وحسب ما ورد في التفاسير فقد نزلت في ابني آدم قابيل وهابيل. وقد ورد في المعاجم اللغوية في سواقي متنوعة لتصب في المعنى ذاته ،حيث جاء في معجم تاج العروس وجواهر القاموس ،وفي معجم لسان العرب في مادة(ب ح ث) " يقال بحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثا سأل وكذلك استبحته واستبحث عنه ...وابتحث وتبحثت عن الشيء بمعنى واحد أي فتشت عنه "1 يتضح أن معنى البحث في اللغة هو التفتيش عن شيء

ما ،أو بمعنى طلب أمر غائب أو غابر ،سواء كان ماديا أو معنويا،للكشف عن حقيقته أو عن طبيعته .2 .

أما في الاصطلاح "فهو ...دراسة متخصصة في موضوع معين حسب مناهج وأصول معينة"3 .وتروم هذه الدراسة المتخصصة إلى معرفة الحقيقة وتقصيها وإذاعتها بين الناس،وفق منهج من المناهج الملائمة لموضوع البحث، والذي يطلق عليه الطريقة ،التي يتبعها ليصل إلى حقيقة ما يبحث عنه مند العزم على الدراسة ،وتحديد موضوع البحث حتى تقديمه ثمرة العمل وفق مصادر ومعلومات ،كانت قد شارفت على دراسة هذا الموضوع. ولأن البحث في موضوع ما يكون لأسباب عديدة حسب العلماء،فقد أورد صاحب كشف الظنون رحمه الله أسبابا للتأليف في موضوع البحث وهي "– إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه – أو شيء ناقص فيتممه – أو شيء مغلق فيشرحه – أو شيء طويل فيختصره دون أن يخل بشيء من معانيه – أو شيء متفرق فيجمعه – أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه ." 4 تكاد تكون هذه الأسباب جامعة لسبب البحث، و في كل التفرعات العلمية المختلفة لجميع الظواهر المادية والمعنوية.

الغاية من البحث والهدف منه. .

لقد توسع حقل المعرفة العلمية والإنسانية بتوسع فروعها و تخصصاتها،بالموازاة مع توسع مظاهر الأزمات المختلفة ، وما تعيشه الإنسانية آنيا خاصة.ومن محامد البحث المعاصر أنه يبحث في المشاكل الإنسانية عامة عبر المعمورة ، ولا يخص مجتمعا ما ،أو يكتف علماء الدول المتفوقة بحل قضايا مجتمعاتهم فقط .ومن ثم أُصبغ البحث بصبغة إنسانية عالمية وإن كانت متفاوتة.فالتعاقب مس الحضارات سابقا وآنيا ،والمواكبة صارت فرض عين و تحد على مجتمع ،لينمي خصوصياته وإمكانياته للمواكبة والانخراط في مجالات العلم المختلفة ،من أجل تطوير وسائل التفكير ،ومجابهة المخاطر البيولوجية والأيكولوجية والاجتماعية وغيرها... .

ويعد البحث نشاط فكري علمي يهدف إلى تقديم إضافات إلى المعرفة علمية ،ولعل من أقوى ما يرجى من البحث ،أن ينطلق من حيث انطلق السابقون من جهة ،ومن جهة أخرى يكاد

يكون الاستئناف العلمي والبحثي في المواضع التي ذكرها صاحب كشف الظنون رحمه الله من حيث الأسباب.وهو يسلط الضوء على التخصصات والفروع وما طرأ عليها من تغيرات ،وما يشرع في معالجتها بالكشف عن بعض أسرارها ،أو تثبيت حقائقها ،أو تطوير مجالات صناعية مختلفة "وبفضل الكثير من المشتغلين بالمناهج ،تمّ تقسيم هدف البحث أو الغرض منه إلى قسمين ؛القسم الأول يسمى الهدف العلمي :تكون رغبة الباحث هنا هي الوصول إلى مجرد التوصيل إلى المعرفة العلمية فحسب .أي إثراء المعرفة العلمية.أما القسم الثاني :يسمى الهدف العملي /التطبيقي ،بمعنى أن الهدف الرئيسي في إجراء البحث هو استخدام نتائجه وتطبيقاته للوصول بها إلى حل للمشكلة التي قام الباحث بدراستها"5 .

لكنى الحاصل في الدراسات العلمية للبحوث أنها لا تفرق بين القسمين ،بل هما متوائمان متلاصقان لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر.فبداية البحث العملي تنطلق دائما باستيفاء البحث علميا أو ما يطلق عليه الجانب النظري ،وهو ضروري وواجب ولازم لا محالة.وكلاهما يتأسس ويرتكز على العلم والمنهج التفكيري والمنطقي ،لأن الإدراك والفهم مجالهما العقل وإعماله ليس إلا.

مفهوم المنهج .يعزى استعمال المنهج إلى بداية القرن السابع عشر على يد فرانسيس بيكون خاصة ،وغيره من العلماء الذين اهتموا بالمنهج التجريبي ،وتحديد طائفة من القواعد والضوابط التي تركب العلمي وتنظمه وتحدده. وقد ورد في معاجم اللغة أن "النهج والمنهج والمنهاج :الطريق الواضح ،ونهج الطريق أنهج واستنهج :وضح .وكذا أنهج الطريق وأنهجه :أبانه وأوضحه ،ونهجه بمعنى سلكه."6 فالطريق الإيضاح والإبانة هي السبيل التي يصل بها الانسان إلى الباحث إلى الحقيقة ،حتى يوفر على نفسه كثيرا من الجهد والعناء وتسهل مهمته.أما المنهج بمعناه العام " منطق كلي يحكم العمل العلمي ،ويوجهه مند أن يكون فكرة حتى يصير بناءا قائما ،اعتمادا على أصول قواعد تشكل في مجملها نسقا متكاملا ،هو المسمى بأصول البحث العلمي "7 وهو عند جماعة بولرويال 1962م "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة ،إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين،وإما من أجل البرهنة عليها

للآخرين حين نكون بها عارفين."8

يبدو التوافق بين التعريفين في المنطق وأصول القواعد ،التي هي في حد ذاتها سلسلة من الأفكار يتبادلها المنهج والجدل ،وعندها تكون الذات الباحثة محل تلاعب علمي حسب رأي غادامير " ففي المنهج تمسك الذات الباحثة بالزمام وتقوم بالقيادة والتحكم والتلاعب ،وأما الجدل فيترك الموضوع الذي يقابله ،يلقي أسئلته الخاصة التي يتعين الإجابة عنها ..."9 وبين المعرفة والجهل بالمعلومة يتأسس المنهج العلمي أمام تزايد الإقبال على العلم ،وتوضح الحاجات ،وتوسع الاستطلاعات الفكرية من أجل تحقيق المنفعة العالمية والبحث العلمي.

مفهوم العلم.

لعل من إيجابيات التعاريف المتعددة أنها تعطي مرونة للفهم والتوسع فيه ،وتقارب بين المعاني في تشكل مغاير فالعلم كونه جهد عقلي دؤوب ومنظم ،ومعرفة منسقة ،تنشأ عن الملاحظة والتجريب ،لتفرز حقائق ومبادئ ومناهج بوساطة التجارب والفروض.وهو إما ثابت أو متغير" فالعلم الثابت هو العلم القائم على النشاط العلمي و الذي يقدم لنا معلومات منظمة عن العالم الدي نعيش فيه ،وبناءا على هذا فمن واجبات العالم أن يكتشف لنا حقائق جديدة ،لإضافتها إلى الحقائق الموجودة لدينا ،وهو بهذا المعنى إنما يقدم لنا تفسيرات للظواهر المشاهدة.. أما العلم الديناميكي ،فهو العلم الذي يساعد على اكتشاف نظريات جديدة بقصد استخدامها في بحوث علمية للمستقبل."10 فبين الثابت والمتحول تبقى الدينامكية المؤسسة على جدلية الوجود والتحدي ،أمام كل التحولات العلمية والإنسانية بكل الفروع والتخصصات،وأمام كل معضلة حل قاصم .تبقى معادلة التجلي للمعوقات طوعا أو كرها أمام صرامة العلم وقوة عقل الإنسان. هذه الملكة التي منحها الله سبحانه لهذا الإنسان حتى يعمر الأرض ،وسخر له كل ما يحتاجه لذلك.ففي سورة العلق قوله تعالى {إقرأ باسم ربك الذي خلق }الآية1 وهو إلزام بطلب العلم وتسخيره في الإعمار من كل نواحيه إل قول رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه "تداووا عباد الله ،فإن الله ما أنزل داءا إلا أنزل له شفاءا" صحيح البخاري كتاب

الطب ص1 .دعوة صريحة إلى النصب بين القدرين ؛قدر المرض ،وقضاء الاستعانة والمواجهة والتحدي .وأما بالنسبة للمعوقات كرها ،فأمام قسم الله في سورة الحاقة {فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون}الآية 39/38 .توجيه إلى التدبر الطرق التي يجب اعتمادها للكشف عما هو خفي من الذرات والفيروسات والبكتريا بأنواعها .

ففي مجال البحث العقلي ،يأتي العلم في مقدمة الأدوات للكشف عن هذه الحقائق والغيبيات ،التي أذن الله بكشفها ،التي لا مجال فيها للهوى والتخيل،وإنما التفكر والتأمل .فالعلم في معنى من معانيه " هو التجرد من الأهواء الذاتية ،واتباع طرق البحث المنظم والدقيق ،المبني على أساس العقل والمنطق ،وما يستلزم ذلك من وضع الفرضيات،وتقديم المقدمات ،وتحليل المركب وتركيب المجزأ،وعقد المقارنات،وتعليل الأسباب،واستنتاج النتائج."11 والملاحظ في هذا التعريف أنه يحمل في ثناياه مجموعة من الخصائص تثبت للبحث كل الدقة والحرص على الترتيب والتنظيم والتحديد ،هذا بالإضافة إلى مهمات أخرى للعلم منها:" أ- الاهتمام بإيجاد تعاميم تجريبية أو ما يسمى بالقوانين العامة والتي يمكن بواسطتها التنبؤ بالمستقبل.ب- إيجاد نظريات يمكن وصفها بلأساس الذي يقوم عليه كل تبيان ،والتقدم الذي يؤدي إلى إسعاد الناس.12 وهي مهمات تدفع بالسيرورة التجديدية للمعلومة وموافقتها للقواعد العلمية ،وقد تكون موجودة قبلا ثم اختفت ،ولكنها تمظهرت في شكل جديد.

لقد استدعى توسع المعرفة نشاطا فكريا علميا وإنسانيا عاليا ،بحيث تتضمن معارف علمية وغير علمية ،وهي أشمل من العلم .يقول فرنسيس بيكون "المعرفة هي القوة ووعي بالطاقة الكامنة في المفاهيم الجديدة للعلم."13 فإذا كانت المعلومة هي البيان الذي يخضع لفهم معناه حسب قدرة الاستيعاب ،فإن المعرفة هي القدرة على استعمال هذه المعلومة في سياقات مختلفة،أو ما أطلق عليه فرنسيس بيكون المفاهيم الجديدة للعلم،كما تقوم قضية تقييم المعلومات التي تؤدي إلى تلك المعرفة "على معيارين؛المعيار الأول :هو أهمية الحدث بالنسبة للشخص الملاحظ ،إذ يميل الإنسان للمعرفة التي تتفق مع تحيزاته ،وتذكر تلك أكثر من التي تتعارض مع خبراته السابقة.أما المعيار الثاني: هو معيار الصدق أو الحقيقة،والحقيقة هي ما يشاركنا الآخرون به من ملاحظات."14 تبدو علاقة المعرفة بالتفكير علاقة آلية ،ولعل من أسباب

التخصصات العلمية الواسعة وفروعها ،هو الحاجة إلى الإحاطة بالمعرفة وفهم حقيقة تركيبة الموجود والقوانين التي تحكم بنيته من المبصر إلى اللامبصر.

خصائص البحث

تندرج خصائص البحث ضمن محورين أساسين :هما التفكير العلمي والبحث العلمي،وكلاهما يتصف بخصائص تميزه ،لتضفي عليه أكثر وضوح ،وأقرب فهما وأوسع معنى. التفكير العلمي .هو نمط من التفكير يستعين به الفرد في مواجهة ما يعترضه من معوقات خارجية ،فيشطر إلى أيجاد صيغ وحلول للتغلب عليها .وهو بهذا حسب بعض المتخصصين " قدرة الفرد على تحليل مشكلة ما ووضع خطة لدراستها على أساس عدد من الفروض المقترحة ،واختيار الفروض وتفسيرها قصد الوصول إلى نتيجة نهائية محددة يمكن تعميمها ."15 فمن بين الصيغ والحلول ،ترسيم خطة تقوم على أساس فرضيات أو إشكاليات ،وهما متقاربان في الغاية ويختلفان في الكيفية.وفي الإشارة إلى الفروض حسب بعض المتخصصين الذين يرون أنها " عبارة عن جملة خبرية لا تحمل الصواب ولا الخطأ و يكون مقدار صحة الجمل من عدمه بعد إخضاعها للتجربة ،وهذ هو عمل البحث العلمي"16 ويعد الغرض من هذه الفروض تحديد المشكلة ،من حيث تسهيلها وتحديدها ،بحيث يستبين للباحث رسم خطة مناسبة لحل المشكل .أما بالنسبة للإشكالية فهي تصاغ على في شكل سؤال محوري ،تندرج ضمنه أسئلة جزئية ،تضم محورين فرعيين أو ثلاث. وقد وضع فؤاد زكريا سمات خاصة للتفكير العلمي ،تكاد تكون ثابتة ومعتمدة حتى يتم التحكم في الظواهر وهذه الصفات هي :
1- التراكمية :يقصد بها الطريقة التي يتقدم المجال العلمي ويعلو بها ،فكل نظرية علمية توجد تكون لبنة لما بعدها وتتأسس عليها ،لتكون هي أيضا أرضية علمية يعتمد عليها ،وهكذا تتواصل المتتاليات العلمية ،وحتى وإن كانت قطيعة معرفية و قفزة خارجة للعلم الحديث والمعاصر ،خاصة المجال التكنولوجي وتعميمه على كل الأشياء ،وفي كل المجالات ،فستبقى تلك النظريات السابقة محل اهتمام المؤرخين بالمجالات العلمية.ويسير هذا التراكم في اتجاهين ؛اتجاه أفقي وآخر عمودي.ففي الإتجاه العمودي يبحث العلم في الظواهر السابقة نفسها ،ولكن بمنظور ووسائل واكتشاف أبعاد جديدة .أما الاتجاه الأفقي :فهو توجه العلم إلى التوسع والامتداد إلى ميادين جديدة ،منها تلك التي كان يعتقد أنها أقدس من أن العلم إلى أسرارها.17

2- التنظيم: من أهم صفات التفكير العلمي ،بحيث لا يسمح للأفكار الطليقة والاستطراد فيها ،بل تخضع للتنظيم والتخطيط والإرادة الواعية ،والتركيز في الموضوع المبحوث فيه .وهذا يحتاج إلى مران ومراس ،كما يراعى النسق والتكامل بين الحقائق السابقة واللاحقة.
3- البحث عن الأسباب:يعتمد النشاط العلمي على فهم الأسباب والمسببات للظواهر ومحاولة فهمها وتعليلها ،وللبحث عن الأسباب هدفان:الهدف الأول هو الميل النظري لدى الإنسان والتأمل في الموجودات ،ومحاولة فهمها من حيث السبب والنتيجة معا.وأما بالنسبة للهدف الثاني :أن هذا الميل النظري والتأمل يمكن من التحكم في الظواهر والوصول إلى نتائج أفضل،بواسطة إعمال العقل والجانب العملي فيها.
4- الشمولية واليقين:يبحث العلم في القوانين العامة التي تشترك فيها معظم الظواهر ،بحيث تكون المعرفة العلمية والقضايا المبحوث فيها عامة.وعلى الرغم من اعتماد اليقين العلمي على براهين وأدلة منطقية تبقى النتائج يقينية لا تفند وإن كانت نسبية.
5- الدق والتجريد:يلجأ العلم من أجل تحقيق الدقة العلمية إلى استخدام لغة الرياضيات ،حيث يتبين من دراسة تطور العلم ،يتحتم اعتماد صيغ الرياضيات والتجريد على نطاق أوسع وملزم.فكثير من الظواهر العلمية تكون افتراضية تحليلية ،لكن استحداثها في الأبحاث يمكن من فهم تلك الظواهر فقط.فخط الاستواء وخط غرينتش يرمز بهما إلى الرسم الجغرافي للأماكن والمواقع على سطح الأرض على سبيل المثال.18

البحثالعلمي .

هو عملية علمية تسير وفق منهج معين وتستوفي فيها العناصر المادية والمعنوية لدراسة موضوع أو ظاهرة معينة يكون للباحث موقف محدد يظهر فيه أهم ما توصل إليه منتائج.أو هو الدراسة العلمية التي يعد لها كافة الوسائل المادية والمعنوية للكشف عن حقيقتها.من خلال التحاليل والبيانات للوصول إلى نتائج معينة ،تكون ثمرك الجهد الفكري.وتسهم في إسعاد الإنسانية من خلال ما تقدمه من إضافة في مجال من المجالات الحياتية. والشائع في البحث العلمي أن طبيعة المشكلة هي التي تحدد منهج البحث وخطواته التفصيلية بما في ذلك الوسائل اللازمة ،المادية منها والمعنوية،وقد تتداخلان معا .فمن الوسائل المادية " أو ما يطلق عليه أدوات البحث ،وتشمل كل ما يحتاجه الباحث من أجهزة ومعدات في مرحلة جمع المادة العلمية إضافة إلى الاستبيانات والنمادج الجاهزة والمقاييس والاختبارات ،لاسيما في الدراسات التجريبية .وأما السائل المعنوية وهي التي لا يمكن أن تدرك بالحواس إلا بعد انعكاسها على أشياء مادية

،وهي في الغالب تكون من صنع الخيال ،ومنها مهارات تحديد المصادر وأنواعها ..ومهارات تحديد مجتمع الدراسة واختيار العينة..."19 وقد يحصل التداخل كما سبق الذكر بين الوسائل نظرا لتشعب المشاكل والآفات التي تحيط بالإنسانية .و مع التطور التكنولوجي شهد البحث دعما ماديا واسعا ساعد على التخفيف من عبئ الجهد المبذول واختزال الوقت ،والسرعة في التدخل والإحاطة خاصة في مجال البيولوجيا وعلم الأمراض وغيرها.. ولعل من أهم الخصائص التي تشد من جدية البحث العلمي الموضوعية والمنهجية .وهما خاصيتان محوريتان ،تتدج تحتهما خصائص ثانوية ،تؤكد على الجهد العلمي والعملي ،وتثبت الممارسة والدربة لصاحبها ،وبما يصل إليه من نتائج.

أ–الموضوعية :هي مهمة في عملية البحث بكامله ،ويقصد بها عدم التحيز والتركيز على موضوع البحث ،والدقة في التفاصيل باستخدام اللغة الفنية القريبة من القارئ للبحث ،والتفسير الموجز البعيد عن الحقائق المعقدة ،والتحيز المسبق للوصول إلى الحقيقة بالشواهد والأدلة التي يمكن الحصول عليها من الإجراءات المنظمة. ب–المنهجية: لا يخفى على الباحث أنه لكل موضوع بحث منهجه الخاص ،وآلياته التي تساعد الباحث على التحكم في الموضوع المدروس ،وفق القواعد المعتمدة ،والطرائق المستعملة لتحقيق الغيات من البحث.وهي أقرب إلى تنظيم المعلومات تنظيما سليما ،متدرجا بالقارئ من السهل إلى الصعب ،ومن المعلوم إلى المجهول .ولعل المقصود بالمجهول هو بداية الانطلاقة الحقيقية للبحث ، و ما كان معلوما منه ، هو ما انتهى إليه السابقون.20 و بين التفكير العلمي والبحث العلمي ،نواة صلبة جاذبة للواجهتين اللاصقتين البحث والتفكير.

أقسام البحث :ينقسم من حيث المستوى إلى قسمين: 1– البحوث التدريبية (على مستوى المرحلة الجامعية الأولى) –بكالوريوس– 2– البحوث العلمية (على مستوى درجتي الماستير والدكتوراه)ما بعد التدرج . 1– المرحلة الأولى: وهي المرحلة التدريبية ،فكل طالب علم يسعى إلى رفع مستواه العلمي ،غير مكتفي بما يستقيه من أساتذته من مادة علمية.لأن مستقبله مرهون بالتكوين العلمي والتدرب على البحث، ومن ثمّ وجب عليه الإطلاع على كل ما يمت إلى البحث من صلة ،حتى يتسنى له معالجة المشكلات بطرق علمية واعية وصحيحة علميا ومنطقيا.

غير أن هذا الباحث المبتدئ لابد له من اتباع خطوات مبدئية في حياته العلمية ،خاصة مع بدايات تعليمه الجامعي .فهذه البداية هي مرحلة الدربة على الكتابة والفهم والمناقشة ،ثم الانصراف إلى التدوين المنهجي ،فهو ملزم باتباع مراحل يتبعها ويهضمها ،لأنها تمت المنهج الشكلي للبحث ،إذ تنمي عنده القدرة على التفكير المستقل ،المقنن أو المنضبط بضوابط .وقبل التطرق لهذه المراحل ، يرى بعض المتخصصين انه من الضرورة بمكان أن يُخلق جو مهيء للطالب بواسطة ضفيرة من المحفزات ،تغرس في نفسيته تطلعات ،تمكنه من إثبات رغبته الصادقة في الاشتغال بالبحث .ومن أبرز هذه المحفزات :

– الاعتراف بالعمل الذي ينجزه الباحث ،وذيوع شهرته محفز هام جدا

– إشباع غريزة حب الاستطلاع وإرضاء نزعة الابتكار

– الرغبة في معرفة مدى مساهمة رأيه في خلق معارف جديدة

– إثبات القدرة على النجاح والطموح غير المحدود واثبات حسن الثقة الموكلة إليه – النزوع إلى البحث من خلال التفنن في تمثل الأشياء غير المفسرة من تحدي ذهني والإحساس باللذة في تجربة ذكائه محاولا إيجاد حلا لها.21 قد يشترك في هده المحفزات الطلبة الحديثي العهد بالبحث مرحلة البكالوريوس،وكذا الطلبة في مرحلة ما بعد التدرج وكلا القسمين يدرجان في الإطار الأكاديمي.لكن ترتيب مراحل البحث يبقى مهما جدا كونه يهدف إلى التدريب ،وإكساب ممارسة وتجربة وخبرة في إطار التدرج العلمي.

لذلك يتوجب على المدرس أن يراقب الطالب في مرحلته الأولى،و أهم عنصرين في هذه المرحلة " هو أن يستثنى في هذه المرحلة إغفال الدراسات السابقة أو تفاصيل المنهج ،لأن البحث تدريبي لا يهدف إلى تحقيق الإضافة العلمية ،كما أن المصداقية العالية لنتائجه ليست شرطا أساسيا.22 أما بالنسبة لما تبقى من المرافقة ،فتتمثل في التوجيهات العامة التي تخص طريقة البحث ،والتحضير للموضوع مثل : –

اختيار الموضوع :أن يضع المدرس أهدافا للبحث ،تساعد الطالب على دخول مرحلة الكتابة العلمية . – حث الطالب على عدم الالتزام بمفردات المقرر المرتبطة بالمادة المطلوبة ،–إلزام الطالب بالتفكير المستقل في الطرح والمناقشة في الإطار العلمي.

-الاطلاع على المراجع الأولية:يتم الاطلاع على المراجع الأولية بمعية المدرس ،أو الاستعانة بأمين المكتبة ،أو الحاسوب المعتمد في المكتبة.بعد الاطلاع على فهارس المراجع ،يختار الطالب عناوين تساعده على فهم موضوعه والتفصيل فيه، وفي هذه المرحلة يراعى في الطالب المبتدئ طريقة تعامله مع المصادر ،والكيفية التي يتم فيها تجميع المعلومات .والأكثر تدقيقا في هذه المرحلة هو كيف يتوصل إلى تصفيفها وترتيبها في إطارها البحثي. – اختيار عنوان مناسب: بعد الاطلاع على فهارس المراجع المحددة ،والتأكد من العناصر المثبة للبحث ،يستطيع الطالب أن يختزلها في عنوان مناسب لبحثه الصغير ،ويجب مراعاة الاتساق والانسجام بين العنوان وعناصره الفرعية. – تحديد الخطوات التنفيذية:ويعنى فيها الطالب بتحديد المادة العلمية ،وجمع المعلومات منها المناسبة لتصوراته العامة لبحثه الصغير. – كتابة البحث:وتشمل مقدمة البحث ،يحترم فيها الطالب الخطوات المهمة فيها ،من تمهيد وسبب الاختيار والهدف – قد يحدد بمعية المدرس– وإشكالية بسيطة ،ثم التفصيل في العناوين الفرعية للبحث الصغير ،وفي الأخير النتائج المتوصل إليها ،ثم المصادر والمراجع.

2– مرحلة البحث العلمي:هي مرحلة تدرجية تأتي بعد فترة دراسة ،واكتساب تجربة صغيرة في مجال البحث ،كما تعد مرحلة الدربة التي يمر بها الطالب .بعد الانتقال من هذه المرحلة يكزن الطالب على استعداد لمباشرة البحث بنظرة أوسع ، وفكر أعمق، و إرادة قوية ،وعزيمة كبيرة،وعليه فهو ملزم بإتباع كل ما تعلق بالبحث العلمي كما هو مرسوم عند المتخصصين ،من حيث المخطط والخطوات والشروط والصفات.

-الشروط الخاصة بالبحث العلمي: يراعى في البحث العلمي مجموعة شروط تقويمية حتى يكون البحث ناجحا 23 .

1– الجدة :لقد أدى توسع مجال البحث وكثرة تفرعات الظاهرة الواحدة إلى ظهور علم التخصصات ،فأصبحت الإنسانية تتمتع بقدر عال من التحكم في الظواهر والمواضيع،فصار لا يشْكل عليها أي موضوع يخضع للبحث.

2- الحيوية والواقعية: تتعلق بمواضيع الساعة وما يرقبه الناس من حلول لمشاكلهم،فكلما كان الباحث حيوي في سيره مع مجتمعه ،وواقعي ،كلما كان البحث جدي ،و يحض باهتمام معاصريه .ولعل من أهم ما يشْكل علة المجتمعات ،هو ما تعلق بالصحة نتيجة تعرضهم لأنواع غريبة من الفيروسات والأمراض المعدية ،إلى جانب الصراع الثقافي والحضاري من حيث الخصوصية ،وكيفية الدفاع عنها من طمس وتشويه إلى غير ذلك من المواضيع الشائعة

3- خصوصية وغزارة مصادره:يسند كل بحث جيد إلى مصادره والأصول التي استقى منها مادة موضوعه ،وكلما كانت غنية وغزيرة ومتنوعة ،كلما كان البحث جيدا.

4-وضوح المنهج: لا يخفى على الباحث أن لكل موضوع بحث منهجه وآلياته التي تساعده على التحكم في الموضوع المبحوث فيه ،من تفصيل وتبويب والانتقال الآلي للأفكار في ترابطها وانسجامها،في إطار تخطيط منطقي سليم ،ليثبت استيعابه للموضوع .

5- تحديد عنوان الموضوع بدقة :ساعد ظهور علم التخصصات كثيرا على اختزال البحوث،أي ابتعادها عن نظام الوسوعات ،ولهذا يتطلب البحث في موضوع معين ،ضمن تخصص معين تحديد العنوان ودقته ،وتصريف عناصره في وحدة منسجمة متسقة ،دون حشو ودون استطراد.وأشد ما يكون أوثق بالإشكالية المطروحة والتحكم في معالجتها.

6- سلامة الأسلوب ووضوح العبارة :إن الكتابة بأسلوب صحيح ولغة سليمة خالية من الأخطاء والهفوات ،كفيلة بإعطاء البحث حلته الخارجية ولصاحبها مكانة واحتراما.

7- دقة المعلومات:كلما كان البحث موثقا ،كلما كان موثوقا بمعلوماته وينشر بين القراء ،لما اعتُمد فيه من توثيق وترقيم وضبط .

<u>صفات الباحث</u> : يعد البحث العلمي عملا دقيقا ،يتطلب صفات من الباحث نفسه ،وتكاد تحصر في مجموعة من الصفات التي ارتآها بعض المتخصصين في هذا الميدان ومن أهمها: 24

- الرغبة :تزيد من الإتقان والإخلاص في العمل وهي ضرورية لأنها بمثابة الخطوة الأولى في التأمل والاستفسار ،وكلما زاد شغف الباحث بالاطلاع كلما نمت رغبته.

- الصبر والمثابرة :إن البحث في ظاهره البحث دو مشقة عويصة ،وليس أمرا هينا ،ولعل

المشقة تكمن في عملية التفتيش والجوع إلى المصادر باختلافها.وتكون فائدة الصبر والمثابرة عند نهاية البحث والوصول إلى الحقيقة.

–الشك العلمي :هو الطريق الذي يؤدي إلى التثبت.

– حب الاستطلاع والتقصي:يجب أن يتوافر لدى الباحث الفضول العلمي ،وأن يكون لديه قدر كاف من المعرفة السابقة ،حتى يستقيم تكون شخصيته العلمية.

– الموضوعية والأمانة العلمية:عدم التحيز للأهواء والعواطف ،كما أنه من الأمانة العلمية أن ينسب الرأي لصاحبه ،أن يكون اهتمامه هو نقل الحقيقة.

– العدالة والإنصاف وعدم التشهير العلمي بالآخرين أو الحط من منجزاتهم.

– العملية التنظيمية: يجب على الباحث أن يكون قادرا على تنظيم المعلومات ،في أسلوب علمي بعيدا عن الغموض والإطالة. هذه أهم الخصائص الواجب توفرها في الباحث ،إضافة إلى ذلك تنظيم الوقت ،المهارة في استخدام المكتبة ،وقوة الذاكرة في ربط المعلومات ،وحسن التعامل مع المعلومة من مصادرها ،كما لا يستثنى الجانب الخلقي من طيبة وحسن معاملة الفريق المرافق المشارك أو المشرف على البحث.

خاتمة:

يحسن القول في خاتمة هذا المقال أن المراجع في هذا الموضوع كثيرة ومتنوعة ،وعلى كثرتها تكاد تتفق على محاور رئسيه تخدم كل البحوث بأنواعها ،ومنها محاور ثانوية غير ثابتة أوجدت لتخدم بعض الفروع العلمية ،بحيث لا يخفى على الباحث أن تفرعات العلم ماتزال في النتوء والانبثاق ،كلما ظن أهل العلم أنهم أحاطوا بظاهرة إلا وفتقت منها أخرى.وبالتالي فإن هذا المقال على صغر حجمه ،إلا أنه حاول الإلمام بأهم المراحل التي يحتاجها الباحث في مرحلتين أساسيتين – الإطار الأكاديمي – ولعل أهم النقاط تم.استخلاصها:

– أن المصطلحات العلمية كثيرة وهي مرتبطة بكل فرع من العلوم لكن أكثرها شيوعا هي المتناولة في هذا المقال.

– أن المفاهيم لهذه المصطلحات متوسعة و متداخلة ،و لابد من التحري والوقوف عندها بالضبط والتدقيق

– أن المراحل التي يمر بها الطالب في ميدان البحث :مرحلتان أساسيتان مبدئيا ؛مرحلة تدريبية وأخرى علمية.

– أن الباحث لابد له من صفات يتحلى بها ،كما للمنهج العلمي شروط وخصائص عليه أن يلتزم بها.

هذه أهم النقاط المقال المقدم في هذا الموضوع ،وهو خطوة صغيرة من محاور المناهج العلمية التي صارت ضرورية لأي تقدم ،إن على المستوى العلمي ،أو على المستوى الإنساني.

الهوامش:

1–محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني،تاج الروس من جواهر القاموس– مادة ب ح ث – دار الهدى – م 5 /د ط ت /ص 163. و ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب ،مادة ب ح ث ،دار صادر بيروت ج/3 ط3 1414هـ /ص 114

2– يوسف أوغلي ،أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات دار المعرفة للنشر والتوزيع –بيروت ط1 2003 م– ص 15.

3–ينظر المفتي رفيق الإسلام المدني ،المدخل إلى إعداد البحث ،ص09.

4–محمد الغريب عبد الكريم ،البحث العلمي التصميم والمنهج والإجراءات ،محطة الرمل ،السكندرية دط ت /ص 42/41. 5–عادل مصطفى– فهم الفهم ،مدخل إلى الهرمنيوطيقا ،نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير –رؤية للنشر والتوزيع –ط2001/1م ص 280.

6–ابن منظور ،مادة ن هـ ج – ج/2 –ص 382

7–فريد الأنصاري ،أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية محاولة في التأصيل المنهجي،منشورات الفرقان،الدار البيضا المغرب ط1 1997م ص32 .

8– عبد الرحمن بدوي – مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات الكويت ط1997/3م /ص04.

9–أحمد جمال الدين ظاهر –البحث العلمي ج1 دار الشرق –جدة ط1 1997م ص09

–10–أحمد منور – علم النص من التأسيس إلى التأصيل ،مجلة اللغة والأدب –ع 12 – جامعة الجزائر /ديسمبر 1997م ص10 .

11– ينظر أحمد جمال الدين – البحث العلمي الحديث ص 65.

12– رجاء وحيد دويدري – البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلمية ،المطبعة العلمية ط1

/2000م ص25 .

13- موفق الحمداني ، مناهج البحث العلمي الكتاب الأول أساسيات البحث العلمي –مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع – عمان ط2006/1م ص19.

14-سعيد اسماعيل ، قواعد أساسية في البحث العلمي – مؤسسة الرسالة بيروت ط1997/1م ص88 .

15-ينظر بتصرف المفتي رفيق الاسلام المدني – المدخل إلى إعداد البحث –دار الكتب العلمية بيروت د ط ت ص12 .

16- محمد ماهر محمود الجمال –التفكير العلمي ودور المؤسسات التربوية في التنمية –دار الوفاء للطباعة والنشر د ط 1997م ص06 .

17- ينظر بتصرف أحمد حمال الدين –البحث العلمي الحديث ص09. 18- فؤاد زكريا – التفكير العلمي – عالم المعرفة ع/3 المجلس الوطني للثقافة والفنون / الكويت مارس 1978م ص20/19.

18- ينظر بتصرف المرجع نفسه ص31 .

19- بتصرف المرجع نفسه ص37/36 .

20- م ن / ص 42.

21- عبد القهار داود العاني – منهج البحث والتحقيق في الدراسات العلمية والإنسانية دار وحي القلم – دمشق ط1 /2014م ص37 .

22- سعيد اسماعيل – قواعد أساسية في البحث العلمي/ ص 561

23- ينظر يوسف أوغسلي –أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات – دار المعرفة للنشر والتوزيع ط2003/1م – ص 75/74 .

24- ينظر كلا من رحيم يونس مقدمة في منهج البحث / ص 30 .والمفتي رفيق الاسلام – المدخل إلى إعداد البحث ص 13 .